

خطاب صاحب الجلالة في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

فاس ــ افتتح أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في دورته العاشرة بمحضر الوزراء والسفراء وعدد كبير من ممثلي المنظمات الدولية وقادة الفكر في المغرب والمشرق الإسلاميين، وألقى جلالته خطاباً هاما فيما يلي نصه الكامل :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

يقول الله سبحانه وتعالى بعد باسم الله الرحمان الرحيم

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا» .

منذ عشر سنوات انعقد اول مؤتمر قمة للدول الإسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وان نحن رجعنا الى الوراء نجد ان البعض منا مازال حياً يعمل ويشتغل، فرحمة الله على شهدائنا من اي قارة كانوا ومن اي جنس كانوا وعلى رأسهم الذي كان ينزلنا منزلة الابن بعطفه ومحبته، وشريكنا في المؤتمر الأول جلالة الملك فيصل الأول رحمة الله عليه.

فلنقم جميعاً لنقرأ الفاتحة ترحماً على ارواح شهدائنا سواء الذين ماتوا في الجهاد بالقلم او بالخطابة او بالسلاح، اينما كانوا اينما ماتوا واينما استشهدوا.

«بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمان الرحيم، ملك يوم الدين، اياك نعبد واياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» آمين.

ان من نعمة الله علينا جميعاً رغم تعددنا واختلاف اجناسنا والسنتنا، اننا حينما دعونا بأم الكتاب دعونا بها جميعاً دون تلعثم ولا توقف ولا نسيان، ام الكتاب التي بدونها لا تصلح الصلاة ولا تصح، أم الكتاب التي جعلها الله سبحانه وتعالى اقدس الآيات في كتابه العظيم، وان كان هناك برهان يدل دلالة على اننا امة واحدة فهو الفاتحة التي قرأناها دفعة واحدة جميعا رغم اختلاف السنتنا واجناسنا.

حضرات السادة

حاولت ان اجد موضوعاً يلائم المقام، لأن المقام قبل كل شيء ديني وسياسي في آن واحد، ان يلائم المقام، لأن الجو الذي ينعقد فيه هذا المؤتمر كله كهرباء وكله توتر، وسوف نصبح من الكاذبين على انفسنا اذا نحن قلنا غير ذلك او اعتقدنا غير ذلك، فاذن لكي نجد موضوعاً لخطابنا يمكن به ان نقف امام مسؤولياتنا تلك المسؤوليات العالمية والمسؤوليات الأدبية، لأن مسؤولية الإسلام لا تنحصر في مكان ولا في زمان، اذن نحن امام مسؤوليات ابدية قائمة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

وامام هذه المسؤوليات، علينا ان نتحلى بالصبر والأناة دون مهاودة فيما يخص المبادىء ودون مراجعة فيما يخص ما قرر، ولكن بأكثر ما يمكن من اللباقة ومن الأدب ومن الوقوف في المستوى الذي وضعتنا فيه شعوبنا.



يروي البخاري ومسلم وغيرهما من رجال الصحيح، ان سيدي وجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يوشك ان تداعى عليكم الأمم تداعي الأكلة على القصعة من الطعام» فسأل الصحابة كيف ؟ افمن قلة يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا، انتم كثير «ولم يقل كثيرون» انتم كثير ولكن غثاء كغثاء السيل يقذف في قلوبكم الوهن، وينزع الرعب من قلوب من عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم للموت» .

فلنبدأ بالأخير، الموت هنا ليس الموت المادي او انقطاع الحياة، ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم حينما اراد ان يعارض لم يقل ذلك لحبكم للحياة وكراهيتكم للموت قال : «لحبكم للدنيا» فالموت هنا ليس الموت المادي هو الموت الروحي، موت الضمير، موت الوطنية، موت الاحساس بالكرامة، موت روح التضحية، والتضحية هنا نفسها هل هي تضحية مادية فقط ؟ هل سنضحي بأبداننا أو نضحي بأموالنا فقط ؟ لا، علينا ان نضحي بالتنافر امام التسامح، علينا ان نضحي بكل ما يجعلنا قلة والحقيقة اننا كثير، ولاسيما ان الكثرة قد كونت مؤامرة على المسلمين في كل مكان وجدوا فيه.

فهناك الأشخاص او المفكرون او الدول، لما صارت تحلل الخريطة وجدت ان هناك قوة عظيمة ضخمة تتكون من مليار من الأشخاص تسمى المسلمين، وبين عشية وضحاها اصبح المسلمون محل العطف والحنان والحنو لأنهم أصبحوا مطمعاً واصبحوا مستهدفين للمسخ، لذا رغم كثرتنا علينا ان لا نعطي لأعداء البشرية لا أقول لأعداء الاسلام، علينا ان لا نعطيهم مليارا من البشر كأنهم رعاع او كأنهم قطعة من ابل او غنم، علينا ان نستخدم فكرنا وان نعرف ان طاقتنا ان لم تكمن في التكنولوجيا اليوم فستكون مستكملة للتكنولوجيا في المستقبل، علينا ان نعلم ان ديننا يمكننا من خلق تلك المدينة الفاضلة التي صار يحلم بها كثير من الفلاسفة منذ افلاطون وغيره.

نعم، ديننا هو المدينة الفاضلة، لماذا ؟ لأن الدين والدنيا عندنا توأمان ان سرنا في طريق المعاملات نجد الدين نهى عن شيء ويأمر بشيء، وان سرنا في طريق العبادات وجدنا الدين والدنيا لا افراط ولا تفريط.

لذا علينا نحن المسلمين ان نفتخر بديننا، وعلينا ان نحن انكببنا على طرق موضوع من المواضيع ان لا يقال فينا اننا فلاسفة، واننا نخوض اجواء فارغة، واننا لا نتكلم الا عن الله والملائكة ويوم الحساب، لا، ديننا هو العلم والعمل، هو التجانس، هو الازدواج او هو الزواج بين حالنا ومآلنا، بل حتى فيما يخص الحرب وضع الاسلام شروطا لخوض الحرب ووضع لنا شروطا لعقد السلم، ووضع لنا شروطا للإصلاح بين الإخوان، ووضع لنا شروطا للتساكن وللتمازج.

فاذن، كل موضوع سيطرق هنا، وهذه هي نصيحتي لكم باسمي شخصياً وبصفتي ممثلا لرؤساء دولكم هنا، فاعتبروني انا شخصياً عبد الله الضعيف واحداً منهم، اقول لكم، ستعترضكم في دراساتكم هنا عراقيل ومشاكل، فحلوها بروح الإسلام، تلك الروح التي هي منبثقة من آيات القرآن «وكذلك جعلناكم امة وسطا» ومن الحديث الشريف : «لا افراط ولا تفريط» لأن العدو يتربص بنا، يتربص بنا الزلل ولن يرحمنا ولن يشفق علينا، وقد اظهر ذلك في عدة مناسبات منذ القرن الماضي حينما مزق افريقيا وآسيا باستعماره، وحينما حاول ان يستخرج من انفسنا ومن سلالاتنا وحتى من امخاخنا الدموية كل ما يربطنا بأصالتنا الإسلامية، حاول ان يفرق بيننا، فرق بين الاخوان في نفس القارة، فرق بين القارات، شجع الوثنية، شجع كل ما من شأنه ان لا يجعلنا خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله.



حضرات السادة

في سنة الف وتسعمئة وثلاث وسبعين كلفت من طرف اخواني ملوك ورؤساء الدول العربية في القمة التي عقدت في الجزائر ان القي كلمة الشكر، واذا كانت ذاكرتي تنفعني فانني اتذكر انني قلت في خطابي : «سنصلي في القدس» والله اننا سنصلي في القدس، فعلينا ان نتحلى قبل كل شيء بالإيمان الذي لا يتزعزع حتى تقترب منا تلك الصلاة في القدس، وان لاننسى ما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «الحرب خدعة» فكل ما من شأنه ان يقربنا من الصلاة في القدس علينا ان نركبه وان نستعمله.

سنصلي في القدس، لأن الله سبحانه وتعالى جعل من القدس اولى القبلتين وثالث الحرمين، ولكن جعل منها اولى القبلتين، وكونها كانت اولى القبلتين اهم في تفسيري شخصياً من انها ثالث الحرمين.

سنصلي في القدس، لانني وانا اذكر قوله سبحانه وتعالى : «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون» فقال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اما قلت على لسان ربك وقوله الحق، لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن ؟ فاجابهم : نعم، ولكن لم يذكر لهم السنة، فكانت من تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يقتل الأمل في نفس المجاهدين، فسلاح المجاهد قبل كل شيء ليس البندقية وليس المدفع، وليس الطائرة، انه قبل كل شيء الثبات على المبدأ، والوفاء بما من اجله جاهد، وما من اجله يستميت.

حضرات السادة

نذكر دائماً كلما اجتمعنا حقوق الشعب الفلسطيني، ولكن اعتقد اننا لم نركب الطريق السوي لحل المشكل الفلسطيني، ذلك ان كلا منا يغني على ليلاه، وكل منا يعتقد ان الفلسطينيين هم الأيتام وله هو الحضانة عليهم، وله هو ان يقرر لهم، وله هو ان يخطط لهم، فأحسن عمل يمكننا ان نقدمه للشعب الفلسطيني هو ان نتفق على حد ادنى ينال رضا الجميع من آسيا وافريقيا، من الدول البيض ومن الدول السود ومن الدول الصفراء، فاذا نحن ضمنا لهم هذا الحد الأدنى واحسوا انهم اينما طرقوا الباب الصالح سيفتح لهم الباب وسيجدون الجواب، سنكون اذ ذاك قد قدمنا للشعب الفلسطيني والقدس اقدس الخدمات.

الشعب الفلسطيني قادر على ان يسير نفسه بنفسه، ففيه المهندسون والدكاترة والأطباء، وربما في المستوى العالمي من الناحية الثقافية واليونسكو تعطينا الارقام ان الفلسطينيين ضربوا الرقم القياسي من ناحية التعليم والتثقيف العالمي، فهم ليسوا في حاجة الى مربية وليسوا في حاجة الى مدرر، هم في حاجة الى معونة لا تكون متضاربة، انهم يجدون هنا القول الأبيض ويجدون هناك القول الأحمر، وهذا يضرنا اولا، لأننا نتفرق وتذهب ريحنا، ويضرهم لأنهم عند الدول الكبرى يقال : آه، الرئيس فلان لم يقل لي هذا، والسيد فلان لم يقل لي هذا، والملك فلان اجابني بهذا، فيصبحون ضحية المضاربات وضحية المرايدات.

فإذا خرج العالم الإسلامي من هنا لا اقول العربي الإسلامي، اذا خرج من هنا بلائحة عمل ولو في نقطة قليلة وقصيرة ولكن عميقة مصيبة، نافذة للصواب وللأهداف فيما يخص المشكل الفلسطيني، فلي اليقين اننا سنسترجع الأعوام والسنين، وان تلك المنطقة بما آتاها الله سبحانه وتعالى من خيرات وما آتاها من علماء وادمغة ستصبح من المقومات القوية بل الأساسية للمجتمع العالمي.



تلك هي بعض الكلمات التي كنت أود ان اقولها، فخطابي ليس خطاباً كلاسيكياً، ولكن هو حديث او نوع من سمر او نوع من تبادل الرأي، ارجو ان يكون وجد منكم الآذان الصاغية والقلوب الواعية.

ولا أريد ان اختم كلمتي هاته دون ان اوجه باسمكم التنويه الصادق الحار لمعالي الأمين العام للمؤتمر الإسلامي السيد غاي، على ما قام به من اعمال وعلى ما بذله من جهود ممثلا في ذلك الأريحية والأخلاق الطيبة التي يتصف بها الأفارقة عامة وشعب السينغال خاصة.

كما اوجه تنويهي وتقديري وشكري لرئيس الدورة وزير خارجية السينغال على حيويته ونشاطه وعلى كونه قد ابان لنا وأظهر ان تربية الرئيس سنغور لا يمكن ان تكون الا تربية صالحة.

اخيراً حضرات السادة، ارجو لكم التوفيق في اعمالكم، وارجو ان يحيط الله سبحانه وتعالى روح هذا المؤتمر بسياج من الحفظ، بسياج من الهداية، بسياج من نوره ووحيه حتى نخرج جميعا بما يرضي الضمير ويرضي الناس ويرضي الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الثلاثاء 11 جمادى الثانية 1399 — 8 ماي 1979